حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر وعلاقتها بالمعنى

إعداد

الدكتورة/ دريةشاكر يوسف عبد الله

قسم الثقافة الاسلامية

كلية التربية - جامعة حائل - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: d.doriahshaker1972@gmail.com

العام الجامعي ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢ م

ملخص البحث باللغة العربية:

التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر وعلاقتها بالمعني

دراية شاكر يوسف عبد الله

قسم الثقافة الاسلامية، كلية التربية، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: d.doriahshaker1972@gmail.com

ملخص البحث:

تناول هذا البحث التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر لتكرار ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته في هذه السورة الكريمة أكثر من غيرها، فاستعرض مفهوم الجملة في اللغة العربية وأركانها، ثم فصل في نوع الخير الجمل الاسمية المعبر بها عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، وأثر هذا التنويع في المعنى، ثم شرح واقع تلك الجمل من ناحية ترتيب أركانها والقواعد المتعلقة بالترتيب من ناحية وجوب تقدم المبتدأ ووجوب تقدم الخير وجواز تأخر الخبر وتقدمه وأثر كل ذلك في المعنى، واستشهد بأقوال اللغويين والنحويين وعلماء البلاغة والمفسرين.

الكلمات المفتاحية:

الجملة الاسمية –اليوم الآخر – تفصيلات اليوم الآخر – سورة غافر.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

Expressing the nominal sentence about the Last Day and its details in Surat Ghafir

Doria Shaker Yousef Abdullah
Department of Islamic Culture, College of Education, University of Hail, Saudi Arabia.
Email: d.doriahshaker1972@gmail.com

Abstract:

This research dealt with the expression of the nominal sentence for the Last Day and its details in Surat Ghafir to repeat the mention of the Last Day and its details in this noble surah more than others, reviewed the concept of the sentence in the Arabic language and its pillars, then separated in the type of good nominal sentences expressed by the Last Day and its details in Surat Ghafir, and the impact of this diversification in meaning, then explain the reality of those sentences in terms of the order of their pillars and the rules related to the arrangement in terms of the necessity of the progress of the beginner and the necessity of good progress and the permissibility of delay The news and its progress and the impact of all that on the meaning, and cited the sayings of linguists, grammarians, rhetoricians and commentators.

Keywords:

Nominal sentence - The Last Day - Details of the Last Day - Surat Ghafir.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام الأتمان الأكملان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد، فقد **جاء هذا البحث بعنوان**: (التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر)، ولعل أهم **سبب لاختيار هذا الموضوع** هو: كثرة ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته في هذه السورة الكريمة، حيث تكرر ذكره ست عشرة مرة، بصورة تشكّل ظاهرة تميّز هذه السورة عن غيرها من السور، ومن ثم استحقت هذه الظاهرة في السورة الكريمة الدراسة، حيث تناول هذا البحث المتواضع التعبير بالجملة الاسمية، وتبقى الحاجة ملحّة لتناول الجملة الفعلية أيضاً بالدراسة في بحث مستقل.

ويجيب هذا البحث عن عدد من الأسئلة من مثل:

ما سبب كثرة ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته في هذه السورة؟

وما دلالة استخدام الجملة الاسمية، وبيان أنماط الجملة الاسمية الواردة في هذه السورة للتعبير عن اليوم الآخر وتفصيلاته.

ويهدف البحث إلى حصر الآيات التي ذكرت اليوم الآخر وتفصيلاته ووضعها بين يدي القراء والباحثين، مع محاولة الباحث تجلية بعض الجوانب المهمة حولها.

استخدم البحث المنهج الإحصائي في حصر الجمل الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته وتصنيفها، وخلال الدراسة قام بوصف الظاهرة باستخدام المنهج الوصفي، ثم تحليلها مستخدماً المنهج التحليلي.

وجاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

التمهيد: مقاصد وأهداف سورة غافر، وارتباط الموضوع بالسورة.

المبحث الأول: تعريف موجز بالجملة العربية، أنواعها، وأركانها، وأسرار التعبير بالجملة الاسمية.

المبحث الثاني: نوع الخبر في الجملة الاسمية المعبّر بها عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر.

المبحث الثالث: ترتيب ركني الجملة الاسمية المعبّر بها عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر.

خاتمة تلخّص أهم النتائج.

الدراسات السابقة:

تنوّعت الدراسات السابقة المتعلقة بسورة غافر تفسيراً ولغةً وبلاغة، وتعدّدت في بحوث ومؤلفات منشورة ورسائل علمية، والطريف ذكره أن بحثاً كهذا تضرب جذوره في علوم كثيرة؛ كعلم التفسير، وعلوم اللغة والنحو والبلاغة، ورغم كثرة الدراسات التي تناولت سورة غافر من مختلف الجوانب، لكنّ أيّاً منها لم يتناول الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، ومن الدراسات السابقة:

- الجدال من خلال سورة غافر، دراسة موضوعية، د. صالح بن عبد الرحمن الدرويش، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- رسالة ماجستير بعنوان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم، من آية ٣٢ من سورة الزمر إلى الآية ٤٠ من سورة غافر، للطالبة: شادية عمر الحلبي، الجامعة الإسلامية بغزة.

- سورة غافر (دراسة بلاغية)، ابتسام بنت عبد الله بن مطر البقمي، ٢٠٠٤-١٤٤٢، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

- التفسير بالمأثور في سورة غافر بين الإمامين الطبري والسيوطي –دراسة مقارنة–، ممدوح محمد عليان أبو عصيبي، ٢٠١٩-١٤٤٠، جامعة الخليل.

- الدلالة الصرفية في سورة غافر، واجد العطوي، رسالة ماجستير، جامعة تبوك، ١٤٣٩هـ.

- دراسات لغوية في سورة غافر، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد٧، العدد ٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

- سيميائية التصوير النفسي في القرآن الكريم، سورة غافر أنموذجًا، د. ميسومي نور الهدى، مجلة دراسات معاصرة، المركز الجامعي الجزائر، المجلد ٤٠، العدد٢، ٢٠٢٠.

وبعد، فقد حاول الباحث تسليط البحث على ظاهرة برزت في سورة غافر، تناول جانبًا منها، وهو التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته، ولعلّ بحوثًا ودراسات لاحقة تستكمل دراسة التعبير بالجملة الفعلية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في السورة.

وبعد، فهذا جهد المُقِلّ، فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وله الحمد والشكر، وإنْ كان فيه غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد في: مقاصد وأهداف سورة غافر، وارتباط الموضوع بالسورة.

سورة غافر عُرفت أيضاً بسورة: (المؤمن)، وسورة: (الطّول)، يقول ابن عاشور في تفسيره: "وردت تسمية هذه السورة في السنة (حم المؤمن)، ووجه التسمية: أنها ذكرت فيها قصة مؤمن آل فرعون، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح... وتسمى أيضاً: سورة الطَّول لقوله تعالى في أولها: "ذِي الطَّوْلِ"(١)، وقد تنوسي هذا الاسم. وتسمى سورة غافر لذكر وصفه تعالى: "غَافِرِ الذَّنبِ"(٢) في أولها. وبهذا الاسم اشتهرت في مصاحف المغرب "(٣).

وهي سورة مكية، يقول الألوسي: "وهي كما روي عن ابن عباس وابن الزبير ومسروق وسمرة بن جندب مكية وحكى أبو حيان الإجماع على ذلك"(٤)، وهذا يعني تميّز أسلوبها واتصافه بأسلوب القرآن المكي، ويعني أن موضوعاتها هي موضوعات القرآن المكي، من جهة إثبات وحدانية الله تعالى، وتفرّده بالملك والخلق والعبادة، ولفت النظر إلى آيات الله في الكون، وإثبات اليوم الآخر، ولعل في هذا شيئاً من التفسير لكثرة ورود اليوم الآخر وتفصيلاته في السورة، وهذه من الظواهر اللافتة للنظر، فقد ربطت السورة اليوم الآخر بكل موضوع من موضوعاتها، وربطت الحياة الدنيا باليوم الآخر، وربطت بين الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، فتجيب عن أسئلة الإنسان الكبرى: من أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين المصير؟.

---

(١) سورة غافر، ٣.

(٢) سورة غافر، ٣.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٢٤/ ٧٥.

(٤) الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٤/ ٣٩.

وقد ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته في السورة ست عشرة مرة، يبيّنها الجدول التالي، ويبيّن توزيعها على السورة:

تسلسل	رقم الآية – الآيات	الآية – الآيات
١	٣	إليه المصير
٢	٦	...أنهم أصحاب النار
٣	٨-٧	... وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن...
٤	١١	قالوا ربنا أمتّنا اثنتين..
٥	١٢	فالحكم لله العلي الكبير
٦	١٨-١٥	لينذر يوم التلاق... ولا شفيع يطاع
٧	٢٧	... متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
٨	٣٣-٣٢	أخاف عليكم يوم التناد... فما له من هاد
٩	٤٣-٣٩	وإن الآخرة هي دار القرار... هم أصحاب النار
١٠	٥٠-٤٦	ويوم تقوم الساعة... إلا في ضلال
١١	٥٢-٥١	ويوم يقوم الأشهاد... ولهم سوء الدار
١٢	٥٩	إن الساعة لآتية لا ريب فيها
١٣	٦٠	سيدخلون جهنم داخرين
١٤	٧٦-٧١	إذ الأغلال في أعناقهم...فبئس مثوى المتكبرين
١٥	٧٧	فإلينا يرجعون
١٦	٧٨	فإذا جاء أمر الله قضي بالحق...

هذا العدد الكبير نسبياً في مرات ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته وتوزيعه على السورة من

أولها لآخرها، استحقّ أنْ يفرد بدراسة بل بدراسات تكشف مكنون اليوم الآخر في هذه السورة، على أن تكون الدراسة لغوية نحوية بلاغية لربط مكوّنات السورة بمدلولاتها وموضوعاتها.

مقاصد وأهداف سورة غافر:

هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب، وأخيرا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس اللّه الذي يأخذ العالين المتجبرين، وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر اللّه إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة اللّه لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم. فالمتأمل يجد أن السورة قد أقامت أنصع الأدلة وأقواها على وحدانية الله تعالى وقدرته، كما يراها قد ساقت ألوانا من التسلية للرسول صلّى الله عليه وسلم عما لحقه من قومه، تارة عن طريق قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وتارة عن طريق التصريح بأن العاقبة ستكون له ولأتباعه، كما في قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) .

كما يراها قد فصلت الحديث عن تكريم الله تعالى لعباده المؤمنين، تارة عن طريق استغفار الملائكة لهم، وتضرعهم إلى خالقهم أن يبعد الذين آمنوا عن عذاب الجحيم. قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) . وتارة عن طريق وعدهم بإجابة دعائهم، كما في قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) . كما أنها اهتمت بالحديث عن مصارع الغابرين، ومشاهد من يوم القيامة، بأسلوب يغرس الخوف في القلوب، ويبعث على التأمل والتدبر.

كما أنها قبل كل ذلك وبعد كل ذلك لها أسلوبها البليغ المؤثر في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي تثبيت المؤمن وزلزلة الكافر، وفي تعليم الدعاة كيف يخاطبون غيرهم بأسلوب مؤثر حكيم، نراه متمثلا في تلك النصائح الغالية التي وجهها مؤمن آل فرعون إلى قومه، والتي حكاها القرآن في قوله: (وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ، أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ، وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ، وَإِنْ يَكُ كاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)[1].

ويجري سياق السورة بموضوعاتها في أربعة أقسام.

يبدأ القسم الأول منها بافتتاح السورة بالأحرف المقطعة بما يقتضي تحدي المعاندين في صدق القرآن، وأجري على اسم الله تعالى من صفاته ما فيه تعريض بدعوتهم إلى الإقلاع عما هم فيه، فكانت فاتحة السورة مثل مقدمة الخطبة مشيرة إلى الهدف من تنزيل السورة. وعقب ذلك بأن دلائل تنزيل هذا الكتاب من الله بينة لا يجحدها إلا الكافرون حسدا، وأن جدالهم تشغيب، وقد تكرر ذكر المجادلين في آيات الله خمس مرات في السورة، وتمثيل حالهم بحال الأمم التي كذبت رسل الله بذكرهم إجمالا، ثم التنبيه على أنهم لا يستحقون أن يأبه لهم النبي ﷺ مهما تقلبوا في المتاع، فإنما هم صائرون إلى ما صار إليه المكذبون قبلهم، وقد أخذهم اللّه أخذا بعقاب أليم! ومع عذاب الدنيا فإن عذاب الآخرة ينتظرهم. بينما حملة العرش ومن حوله يعلنون إيمانهم بربهم، ويتوجهون إليه بالعبادة، ويستغفرون للذين آمنوا من أهل الأرض، ويدعون لهم بالمغفرة والفلاح، وفي الوقت ذاته يعرض مشهد الكافرين يوم القيامة وهم ينادون: «لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ». وهم في موقف الذلة بعد الاستكبار، يقرون بذنبهم ويعترفون بربهم فلا ينفعهم الإقرار، ومن هذا

(١) الوسيط لطنطاوي، ١٢/ ٢٥٧.

الموقف بين يدي اللّه في الآخرة يعود بالناس إلى اللّه في الدنيا «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقًا» ويذكرهم لينيبوا إلى ربهم: (فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ) . ويشير إلى الإنذار بذلك اليوم العصيب ويستطرد إلى حالهم يوم القيامة: «يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ» وقد توارى الجبارون: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ». ويستمر في عرض صور من هذا اليوم الذي يتفرد اللّه فيه بالحكم والقضاء. ويتوارى فيه ما يعبدون من دونه، كما يتوارى الطغاة والفجار.

القسم الثاني: يبدأ ببيان مصارع المكذبين قبلهم. مقدمة لعرض جانب من قصة موسى عليه السّلام مع فرعون وهامان وقارون. تمثل موقف الطغيان من الحق. وتعرض فيها أمرا جديدا لم يعرض في قصة موسى من قبل. وهو ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه. يدفع عن موسى، ويصدع بكلمة الإيمان في تلطف في أول الأمر، ثم في صراحة في النهاية. ويعرض في جدله مع فرعون حجج الحق ناصعة ويحذرهم يوم القيامة، ويمثل لهم بعض ما فيه في أسلوب مؤثر ويذكرهم موقفهم وموقف الأجيال قبلهم من يوسف عليه السّلام ورسالته، ويستطرد السياق بالقصة حتى يصل طرفها بالآخرة فإذا هم هناك. وإذا هم يتحاجون في النار. وإذا حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم جميعا مع خزنة جهنم يطلبون فيه الخلاص. ولات حين خلاص! وفي ظل هذا المشهد يوجه اللّه رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم إلى الصبر والثقة بوعد اللّه الحق، والتوجه إلى ربه بالتسبيح والاستغفار.

القسم الثالث: يبدأ ببيان أن الذين يجادلون في آيات اللّه بغير حجة إنما يدفعهم إلى هذا كبر في نفوسهم، وهم أصغر من هذا الكبر. ويوجه القلوب حينئذ إلى هذا الوجود الكبير الذي خلقه اللّه، لعل المتكبرين يتصاغرون أمام عظمة خلق اللّه وتتفتح بصيرتهم فلا يكونون عميا: «وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا ما

تَتَذَكَّرُونَ». ويذكرهم بمجيء الساعة، ويوجههم إلى دعوة اللّه الذي يستجيب الدعاء. فأما الذين يستكبرون فسيدخلون جهنم صاغرين. ويعرض في هذا الموقف بعض آيات اللّه الكونية التي يمرون عليها غافلين. ويذكرهم بأنفسهم وقد صورهم فأحسن صورهم. ويوجههم إلى دعوة اللّه مخلصين له الدين. ويلقن الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم أن يبرأ من عبادتهم. ويلمس قلوبهم بأن اللّه الواحد هو الذي أنشأهم من تراب، وهو الذي يحيي ويميت. ثم يعود فيعجب رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم من أمر الذين يجادلون في اللّه وينذرهم عذاب يوم القيامة في صورة مخيفة: «إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ»، وإذ يتخلى عنهم ما أشركوا! وينتهي بهم الأمر إلى جهنم يقال لهم: «ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»، وعلى ضوء هذا التصوير يوجه اللّه رسوله إلى الصبر مرة أخرى، والثقة بأن وعد اللّه حق. سواء أبقاه حتى يشهد بعض ما يعدهم أو توفاه قبل أن يراه. فسيتم الوعد هناك.

القسم الرابع: وهو يتصل بالقسم الثالث. فبعد توجيه الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم للصبر والانتظار يذكر أن اللّه قد أرسل رسلا قبله كثيرين. «وَما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ» على أن في الكون آيات قائمة، وبين أيديهم آيات قريبة ولكنهم يغفلون عن تدبرها، هذه الأنعام المسخرة لهم من سخرها؟ وهذه الفلك التي تحملهم أليست آية يرونها! ومصارع الغابرين ألا تثير في قلوبهم العظة؟ ويختم السورة بإيقاع قوي على مصارع المكذبين، وهم يرون بأس اللّه فيؤمنون «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا. سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ»، هذا الختام الذي يصور نهاية المتكبرين، ويتفق مع سياق السورة وهدفها الأصيل[1].

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٤/ ٧٧، والأساس في التفسير، ٩/ ٤٩٣٣.

المبحث الأول

تعريف موجز بالجملة العربية ،أنواعها ،وأركانها ،وأسرار التعبير بالجملة الاسمية.

قسّم اللغويون الجملة إلى اسمية وفعلية، نظراً للكلمة التي تبدأ بها الجملة.

يقول الحازمي في شرحه على ألفية ابن مالك: "الجملة نوعان: جملة اسمية؛ وهي ما صدرت باسم، وجملة فعلية؛ وهي ما صدرت بفعل "[(١)].

ويَنظر اللغويون إلى الكلمة الأولى في الجملة دون اعتبار لما يتقدّم صدر الجملة من حروف.

يقول ابن هشام الأنصاري: "فالاسمية هي التي صدرها اسم، كـ: زيدٌ قائمٌ "[(٢)]، ويقول: "مرادنا بصدر الجملة المسند أو المسند إليه فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو: أقائمٌ الزيدانِ، و: أزيدٌ أخوك، و: لعلَّ أباك منطلقٌ، و: ما زيدٌ قائماً؛ اسمية، ومن نحو: أقامَ زيدٌ، و: إنْ قامَ زيدٌ، و: قدْ قامَ زيدٌ، و: هَلاّ قُمْتَ؛ فعلية"[(٣)].

وللجملة الاسمية ركنان هما: المبتدأ والخبر، فـ"المبتدأ: هو الاسم المرفوعُ العاري عن العوامل اللفظية. والخبر: "هو الاسم المرفوع المُسنَدُ إلى المبتدأ، نحو قولِكَ: زيدٌ قائمٌ، والزيدانِ قائمان، والزيدونَ قائمون.

والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمر"[(٤)]، فالمبتدأ قد يكون اسماً ظاهراً كقوله تعالى: ﴿الْأَغْلَالُ

---

(١) الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح ألفية ابن مالك، المكتبة الشاملة، ج٢٨، ص١.

(٢) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥، ١/ ٤٩٢.

(٣) ابن هشام، سابق، ١/ ٤٩٢.

(٤) ابن آجروم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الآجرومية، دار الصميعي، ١٩٩٨م، ص ١٢.

فِي أَعْنَاقِهِمْ)[١]، أو ضميراً منفصلاً كقوله تعالى: (هُم بَارِزُونَ)[٢]، ويوصف كلٌّ من المبتدأ والخبر بالمسند إليه والمسند، فالخبر يُسندُ إلى المبتدأ، فالبروز في الآية الكريمة مسندٌ إلى (هم) الضمير المنفصل العائد إلى الكفار، فالقول (بارزون) مسندٌ، و (هم) مسند إليه.

يقول السامرائي: " الجملة العربية – كما يرى النحاة – تتألف من ركنين أساسيين، هما المسند، والمسند إليه. فالمسند إليه هو المتحدث عنه ولا يكون إلا اسماً، والمسند هو المتحدث به ويكون فعلاً أو اسماً، وهذان الركنان هما عمدة الكلام وما عداهما فضلة أو قيد"[٣]. فكلٌّ من المبتدأ والخبر ركنان للجملة الاسمية لا تتمّ إلا بهما فعلاً أو حكماً، أي مع جواز حذف أحدهما أو كليهما مع دلالة السياق على المحذوف، وما عداهما في الجملة يوصف بأنّه فَضلةٌ بمعنى الزيادة، ويوصف بأنّه قيدٌ، أي يُقيّد المعنى أو يخصّصه، والأصل في (الفَضلة) أنها زيادة يمكن الاستغناء عنها غالباً، ولكن إذا توقّف عليها كمال المعنى فلا يجوز حذفها.

يقول السامرائي: "وليس المقصود بالفضلة عند النحاة أنها يجوز الاستغناء عنها من حيث المعنى، كما أنه ليس المقصود بها أنها يجوز حذفها متى شئنا، فإن الفضلة قد يتوقف عليها معنى الكلام وذلك نحو قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)[٤]، فإنه لا يمكن الاستغناء عن قوله: (لاعبين)، وكقوله تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا)[٥] فإنه لا

---

(١) سورة غافر، ٧١.

(٢) سورة غافر، ١٦.

(٣) السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ١/ ١٤.

(٤) سورة الأنبياء: ١٦

(٥) سورة الإسراء: ٣٧

يستغنى عن قوله: "مرحا"[١].

ويقول أيضاً: " والمقصود بالفضلة أنه يمكن أن يتألَّفُ كلام بدونها، إذ كُلُّ كَلامٍ لابُدَّ أنْ يكون فيه عُمدةً مذكورةٌ أو مُقدَّرةٌ، بخلافِ الفَضْلةِ؛ فإنَّهُ لا يُمكنُ أن يتألَّفَ كلامٌ بدونها؛ نحو "محمدٌ مُسافرٌ" و"فاضَ النَّهرُ"[٢].

أسرار التعبير بالجملة الاسمية:

١ـ الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام، لذا كانت آكد من الجملة الفعلية، ومن أجل هذا فإنه يحسن إيثار التعبير بالجملة الاسمية في المقامات التي تتطلب الاستمرارية، تأمل قول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، فكان الوثنيون الذين عبدوا الأصنام من عادتهم أنَّهم لا يدعون تلك الأصنام إذا نزلت بهم شدة، بل يدعون الله. فناسب التعبير عن صمتهم بالجملة الاسمية المفيدة للثبوت والدوام، وتأكيد الحكم، ولما كان الدعاء غير معتاد، فقد عبر عنه بالجملة الفعلية التي لا تفيد ثبوتًا. والمراد: سواء عليكم أأحدثتم الدعاء على غير عادة أم بقيتم مستمرين على عادة صمتكم.[٣]

٢ـ الاختصاص: كأن تريد أن تبين أنَّ الفاعل قد فعل ذلك الفعل على جهة الاختصاص به دون غيره، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣ـ ٤٤]، فصدر الجملة بالضمير: دلالةً على اختصاصه تعالى بالإماتة والإحياء والإضحاك والإبكاء.

وإنَّما أورد الضمير وصيَّر الجملة اسمية: تكذيبًا وردًّا وانكارًا لمن زعم أنَّه مشاركٌ لله

---

(١) السامرائي، سابق، ١/ ١٤.

(٢) السامرائي، سابق، ١/ ١٤.

(٣) ينظر: البلاغة ٢ – المعاني – جامعة المدينة، (ص: ٣٠٥).

تعالى في هذه الخصال.

٣ـ التحقق وتمكين المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فخاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بـ «إنَّ» المشددة، وإنَّما كان الأمر كذلك؛ لأنَّهم في خطابهم لإخوانهم مخبرون عن أنفسهم بالثبات والتصميم على اعتقاد الكفر، مصرون على التمادي في الجحود والإنكار، فلهذا وجهوه بالجملة المؤكدة الاسمية، بخلاف خطابهم للمؤمنين فإنَّما كان عن تكلفٍ وإظهار للإيمان؛ خوفًا ومداجاةً، من غير عزم عليه، ولا شرح صدرهم به.(١)

٤ـ دوام النفي: قال تعالى: ، فإيثارُ الجملة الاسميةِ على الفعلية الموافقةِ لدعواهم المردودةِ: للمبالغة في الرد بإفادة انتفاءِ الإيمانِ عنهم في جميع الأزمنة لا في الماضي فقط كما تفيده الجملة الفعلية.(٢)

◆ **وصفوة القول:** أنَّ الجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها: ثبوت شيء لشيء ليس غير؛ فجملة «الناجح مسرور» لا يفهم منها سوى ثبوت شيء لشيء للناجح من غير نظر إلى حدوث أو استمرار.

ولكن الجملة الاسمية قد يكتنفها من القرائن والدلالات ما يخرجها عن أصل وضعها **فتفيد الدوام والاستمرار،** كأن يكون الكلام في معرض المدح أو الذم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ـ ١٤]. فالجملة الأولى سيقت في معرض المدح، والثانية سيقت في معرض الذم، والمدح والذم كلاهما قرينة، ولهذا

(١) ينظر: أساليب بلاغية، لأحمد مطلوب، (ص: ١٤١ـ ١٤٢).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١/ ٤٠.

فكلتا الجملتين قد خرجت عن أصل وضعها وهو الثبوت، وأفادت الدوام والاستمرار؛ أي: إنَّ الأبرار في نعيمٍ دائمٍ مستمرٍ، والفجار كذلك في جحيمٍ دائمٍ مستمرٍ.

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الدوام والاستمرار بالقرائن إلا إذا كان خبرها مفردًا أو جملةً إسميةً.

أما إذا كان خبرها جملة فعلية: فإنَّها تفيد التجدد. فإذا قلت: «الدولة تكرِّم العاملين من أبنائها»، كان معنى هذا أن تكريم الدولة للعاملين من أبنائها أمر متجدد غير منقطع.(١)

وسيختصّ هذا البحث بدراسة الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر في سورة غافر بقدر ما يسمح به المقام.

(١) ينظر: علم المعاني، لعبد العزيز عتيق، (ص: ٤٨ـ ٤٩).

المبحث الثاني

نوع الخبر في الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر في سورة غافر

ورد التعبير في سورة غافر عن اليوم الآخر وتفصيلاته بالجملة الاسمية في ما يقارب ثلاثين جملة، تعددت مواضعها في السورة كما سيتبيّن لاحقًا، ولكنْ تعدّد نوع الخبر فيها ما بين مفرد، وشبه جملة، وجملة فعلية، فهذه هي أنواع الخبر: "وهو ثلاثة أقسام: مفرد، وجملة، وشبه جملة"[١].

وعرّف عباس حسن الخبر المفرد بأنه: "ما كان كلمة واحدة، أو بمنزلة الواحدة، أي: ليس جملة، ولا شبه جملة"[٢].

وعرّف شبه الجملة بقوله: "يراد بشبه الجملة في هذا الباب أمران، هما: الظرف، والجار مع مجروره"[٣].

ونبدأ بالخبر المفرد الذي هو كلمة واحدة مثل: (بارزون) في قوله تعالى: (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ)[٤]، أو بمنزلة الكلمة الواحدة، ويُقصد به المضاف كقوله تعالى: (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)[٥]، فـ (أصحابُ) هو الخبر وقد أضيف إلى (النار)، ويُعدّ مفرداً بمعنى أنه ليس جملة ولا شبه جملة مع أنه مضاف.

ويُعدّ من الخبر المفرد أيضًا المشتقّ العامل مع معموله، كقوله تعالى: (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا

---

(١) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥، ١/ ١٦١.

(٢) حسن، سابق، ١/ ١٦١.

(٣) حسن، سابق، ١/ ١٦١.

(٤) سورة غافر، ١٦.

(٥) سورة غافر، ٤٣.

نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ)[١]، فالخبر هو اسم الفاعل المجموع (مُغْنونَ) وقد عَمِلَ عمَلَ فعله فنصب مفعولاً به وهو (نَصِيبًا)، وحكمُه حكمُ الخبر المفرد.

وقد ورد في سورة غافر في التعبير عن اليوم الآخر وتفصيلاته ثماني جمل خبرها مفرد، ثلاث منها جاء الخبر كلمة واحدة غير مضافة ولا عاملة، في قوله تعالى: (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ)[٢]، فقد أخبر سبحانه وتعالى عن الكافرين أنهم (بارزون)، أي: ظاهرون بادون كلهم لا شيء يكنّهم ولا يظلّهم ولا يسترهم،[٣] وهو دالّ عل شدّة تمكّن الله تعالى منهم.

وورد الخبر كذلك كلمة واحدة في قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ)[٤]، وجاءت الجملة مؤكَّدة بالحرف الناسخ المؤكد (إنّ)، وأُكِّد الخبر المفرد (آتية) بلام التوكيد المزحلقة، وهذا التعبير مفيدٌ لشدّة توكيد إتيان يوم القيامة المعبّر عنه هنا بـ (الساعة) .

وورد الخبر المفرد كلمة واحدة في قوله تعالى: (إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ)[٥]، فجاءت الجملة مؤكّدة أيضاً بالحرف الناسخ (إنّ)، وجاء الخبر (حقٌّ) الذي يعني الصدق وتحقق وقوع وعد الله سبحانه وتعالى.

وورد الخبر المفرد عاملاً في قوله تعالى: (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ)[٦]، جاء

---

(١) سورة غافر، ٤٧.

(٢) سورة غافر، ١٦.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ٧/ ١٢٣.

(٤) سورة غافر، ٥٩.

(٥) سورة غافر، ٧٧.

(٦) سورة غافر، ٤٧.

المبتدأ في هذه الجملة ضميراً منفصلاً دالاً على جماعة المخاطبين، وهم الذين استكبروا، وجاء الخبر جمعاً لاسم الفاعل (مُغْنِي)، وجاء عاملاً، نصبَ مفعولاً به وهو (نصيباً) وتعلّق به الجارّ والمجرور (من النار)، فالجار والمجرور تعلّقا بالمفعول به لاسم الفاعل المجموع، وفي هذا التعبير دلالة على الحسرة التي هم فيها نتيجة طاعتهم للذين استكبروا في الدنيا، وأنهم يبحثون عمن يخفّف عنهم أي جزء من عذاب النار.

وورد الخبر كلمة واحدة موصوفة في قوله تعالى: (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[١]، فقد جاء المبتدأ في هذه الجملة اسم إشارة، والمشار إليه هو المدعوّ له بالرحمة الذي وقاه الله السيئات وشرّها يوم القيامة (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ)[٢]، والخبر هو (الفوز) ولكنّه فوز عظيم، الذي هو غاية كل عامل في الدنيا، وكل باحث عن رحمة الله تعالى، الذي هو الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب، فهو هنا النجاة من النيران ونيل الجنان، مع الخلود في رحمة الله، فاستحق أنْ يكون فوزاً عظيماً.

وورد الخبر ثلاث مرات بمنزلة الكلمة الواحدة مضافاً، في قوله تعالى: (وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)[٣]، صّدرت الجملة بـ (أنّ) المؤكّدة المصدرية، معطوفة على خبر (لا جَرَم) الواردة على لسان مؤمن آل فرعون، التي تعني: حقّاً كما ذكر الطبريّ في تفسيره[٤]، وإسراف

---

(١) سورة غافر، ٩.

(٢) سورة غافر، ٩.

(٣) سورة غافر، ٤٣.

(٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ٢١/ ٣٩١.

المسرفين هو شركهم كما قال ابن كثير[١]، والخبر (أصحاب النار) بإضافة (أصحاب) إلى (النار) للدلالة على خلودهم فيها.

وورد الخبر مضافًا في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٢]، المصدّرة بـ (إنّ) التوكيدية، لتوكيد الإخبار عن الله تعالى أنه سريع الحساب، فورد الخبر (سريع) مضافًا إلى (الحساب)، والإضافة أفادت تخصيص سرعة الله تعالى في الحساب، وفيه من التهديد للكفار ما فيه.

وورد الخبر مضافًا في قوله تعالى: (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)[٣]، وصدّرت الجملة أيضًا بحرف التوكيد الناسخ (إنّ) لتوكيد كون الآخرة هي دار القرار، فالخبر (دار) جاء مضافًا إلى (القرار)، فالآخرة ليست أيّ دار، بل فيها القرار، أي الاستقرار والخلود، وفي الجملة توكيد آخر بمجيء ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر (هي) الدالّ على الحصر لمزيد من التوكيد.

يقول الزركشي في مسألة إفادة ضميرِ الفصلِ بين المبتدأ والخبرِ الحصرَ: "ذكره البيانيّون... مثل قوله تعالى: (وإن جندنا لهم الغالبون)[٤] فإنه لم يُسَقْ إلا للإعلام بأنهم الغالبون دون غيرهم، وكذلك قوله تعالى: (وأنّ المسرفين هم أصحاب النار)[٥]"[٦].

---

(١) ابن كثير، سابق، ٧/ ١٣٢.

(٢) سورة غافر، ١٧.

(٣) سور غافر، ٣٩.

(٤) سورة الصافات، ١٧٣.

(٥) سورة غافر، ٤٣.

(٦) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤م، ٥/ ١٨٩.

وقد ورد الخبر جملة اسمية في موقع واحد للتعبير عن بعض تفصيلات اليوم الآخر في سورة غافر مرة واحدة، في قوله تعالى: (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا)[١]، على لسان الذين استكبروا وهم يتجادلون في النار مع الذين استضعفوا، وفيها توكيد بـ (إنّ)، فجاء الخبر جملة اسمية (كلٌّ فيها) مبتدأ نكرة من ألفاظ العموم لحقه تنوين العوض عن كلمة، والتقدير (كلّنا)، وخبرها شبه جملة جار ومجرور (فيها)، وفي التعبير بالخبر الجملة الاسمية دلالة على الثبوت، أي ثبوت كونهم في النار واستمراره[٢].

وورد الخبر جملة فعلية في ثلاثة مواضع في السورة، قوله تعالى: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ)[٣]، فجملة (أخاف...) جملة فعلية فعلها مضارع، تدل على حدوث الخوف وتجدّده ما دام حالهم على ما هو عليه.

وقوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا)[٤]، فجملة (كنّا...) جملة فعلية مبدوءة بالفعل الناسخ الماضي (كان) الداخل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت، أي ثبوت كون المستضعفين تابعين باستمرار للمستكبرين بطاعتهم إياهم في الكفر والضلال، وفيه من الحسرة ما فيه.

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)[٥]، فالجملة (قد حكم...) جملة فعلية فعلها

---

(١) سورة غافر، ٤٨.

(٢) السامرائي، سابق، ١٦.

(٣) سورة غافر، ٣٢.

(٤) سورة غافر، ٤٧.

(٥) سورة غافر، ٤٨.

ماضٍ مسبوق بـ (قد) الدالة على التحقيق لورودها قبل الفعل الماضي[١]، أي تحقيق حكم الله سبحانه وتعالى وتقسيمه العذاب بينهم بقدر ما يستحق كلّ منهم بقضائه العادل عزّ وجل، وأنهم لا يتحملون عنهم من العذاب شيئًا فكلّ قضي عليه بما يستحقه[٢].

وورد الخبر في التعبير عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر شبه جملة في ست عشرة جملة، والمقصود بشبه الجملة هنا أمران: " هما: الظرف، والجار مع مجروره "[٣].

ورد الخبر ظرفًا في جملتين اثنتين، في قوله تعالى: (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ)[٤]، فأخبر عن الظلم المنفيّ بـ (لا) النافية لجنس الظلم، أخبر عنه كونه –أيْ: نفي الظلم– مستقراً وثابتًا في هذا اليوم، يوم القيامة، يوم القضاء العادل.

وقوله تعالى: (الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ)[٥]، فأخبر عن المبتدأ (القلوب) بالظرف (لدى) الدالّ على المكان، "وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها، ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا"[٦].

والجمل الأربع عشرة الأخرى ورد فيها الخبر شبه جملة جارّاً ومجروراً، وحروف الجرّ من حروف المعاني التي هي: "مفردات ذات ارتباطات ودلالات تركيبية وسياقية، تتحقق

---

(١) المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ٢٥٥.

(٢) ابن كثير، سابق، ٧/ ١٣٥.

(٣) حسن، سابق. ١/ ١٦١.

(٤) سورة غافر، ١٧.

(٥) سورة غافر، ١٨.

(٦) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن– تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٤/ ١٠٩.

كاملة في النظم، فتصبح محدّدة بدقّة، خلافاً للأفعال والأسماء، التي غالباً ما تكون ذات علاقات ودلالات معجمية"[١]، وعليه؛ فإن السياق الذي يرد فيه حرف الجرّ هو الذي يحدّد دلالته بدقة.

أما حروف الجرّ الواردة في الموضوع فهي:

- الباء، مرة واحدة، في قوله تعالى: (ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ)[٢]، الباء دلت على التعليل[٣]، أي أنّ هذا الذي فعلنا بكم اليوم من العذاب الذي أنتم فيه بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، وبمرحكم فيها، أي الأشر والبطر[٤].

- إلى، ثلاث مرات، في قوله تعالى: (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[٥]، وقوله تعالى: (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)[٦]، وقوله تعالى: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ)[٧].

قال المرادي عن (إلى): "حرف جر، يرد لمعان ثمانية: الأول: انتهاء الغاية في الزمان والمكان وغيرهما، وهو أصل معانيها..."[٨].

وقد وردت (إلى) في الآيات الثلاث للدلالة على انتهاء الغاية، فغاية المصير في الآية

---

(١) قباوة، فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٣٩.

(٢) سورة غافر، ٧٥.

(٣) المرادي، سابق، ٣٩.

(٤) الطبري، سابق، ٢١/ ٤١٧.

(٥) سورة غافر، ٣.

(٦) سورة غافر، ١١.

(٧) سورة غافر، ٤٣.

(٨) المرادي، سابق، ٣٨٥.

الأولى تنتهي إلى الله سبحانه وتعالى، وغاية السبيل الذي يَسأل عنه أهل النار -وهو أيّ سبيل- في الآية الثانية تنتهي إلى خروج من النار أي خروج مهما كان، وغاية المَرَدّ الذي يخبر عنه مؤمن آل فرعون تنتهي إلى الله تعالى، والذي أفاد انتهاء الغاية في الآيات الثلاث هو حرف الجر (إلى) ....

- في، أربع مرات، في قوله تعالى: (لَّا رَيْبَ فِيهَا)[1]، وقوله تعالى: (وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)[2]، وقوله تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ)[3]، والمقدّرة في قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ)[4].

وفي هذه الآية الأخيرة يقدّر حرف الجر (في) تقديراً، والتقدير: لا جرمَ في أنّ ما تدعونني... ولحرف الجرّ (في) تسعة معانٍ عند النحويين، وإنْ كان البصريون يردّونها كلها لمعنى واحد وهو الظرفية حقيقةً أو مجازاً، وهو الأصل فيه[5]، ففي الآية الأولى (لَّا رَيْبَ فِيهَا)[6] المبدوءة بـ (لا) النافية للجنس نفت وقوع جنس الريب -أي الشكّ- في مجيء الساعة، أي يوم القيامة الذي يجازى فيه الناس بأعمالهم في الدنيا، و (في) فيها دلّت على الظرفية المجازية، ومثل ذلك في الآية الثانية (وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)[7]، وكذلك في الآية الرابعة (لا جرم..)، المبدوءة بـ (لا) النافية لجنس الشك في أنّ ما يدعو إليه الكفار ليس

---

(١) سورة غافر، ٥٩.

(٢) سورة غافر، ٥٠.

(٣) سورة غافر، ٧١.

(٤) سورة غافر، ٤٣.

(٥) المرادي، ٢٥٠.

(٦) سورة غافر، ٥٩.

(٧) سورة غافر، ٥٠.

له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة[١].

أما الآية الثالثة (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ)[٢] فإنّ الظرفية حقيقية وليست مجازية لوجود القيد محيطًا بأعناق الكافرين وكذلك السلاسل يسحبون بها بين الحميم والنار.

- اللام، ست مرات، في قوله تعالى: (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)[٣]، وقوله تعالى: (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ)[٤]، وقوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)[٥]، وقوله تعالى: (مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ)[٦]، وقوله تعالى: (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ)[٧]، وقوله تعالى: (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)[٨]، ومع أنّ لـ (اللام) الجارّة معاني كثيرة ولكن الأصل في معناها هو الاختصاص، وبقية المعاني تُحمل عليه[٩]، ... فالحكم في الآية الأولى مختصّ بالله العلي الكبير سبحانه، والملك في الآية الثانية مختص به سبحانه، وليس هناك صديق ولا شفيع يختص بالظالمين، في الآية الثالثة، وليس من عاصم يختص بالكافرين في الآية الرابعة، واللعنة في الآية الخامسة تختص بالظالمين، وسوء الدار في الآية السادسة يختص بالظالمين أيضًا.

تبيّن مما سبق في هذا المبحث استغراق الجمل الاسمية المعبّر بها عن اليوم الآخر

---

(١) ابن عاشور، سابق، ٢٤/ ١٥٤.

(٢) سورة غافر، ٧١.

(٣) سورة غافر، ١٢.

(٤) سورة غافر، ١٦.

(٥) سورة غافر، ١٨.

(٦) سورة غافر، ٣٣.

(٧) سورة غافر، ٥٢.

(٨) سورة غافر، ٥٢.

(٩) المرادي، ٩٦.

وتفصيلاته لأنواع الخبر: المفرد، وشبه الجملة، والجملة بنوعيها: الاسمية والفعلية، وُظّفت كلُّها توظيفاً دقيقاً للتعبير عن اليوم الآخر وتفصيلاته، محدِثةً الأثرَ النفسيّ الكبير لدى المتلقّي.

المبحث الثالث

ترتيب أركان الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر في سورة غافر

الأصل والترتيب الطبيعي للجملة الاسمية أن يقع المبتدأ أولاً، وتصدّر به الجملة، فهو الذي تتعلق به الفائدة الكائنة في الخبر، وهو الذي يستحضره الذهن حين تلقّي الجملة، ويتهيأ لاستقبال الفائدة عنه التي هي في الخبر، لكن اتساع اللغة العربية وتعدّد طرائق التعبير فيها أتاح لمستخدمي اللغة التصرف في ترتيب الجملة الاسمية للتوسع في التعبير والدقّة فيه.

يقول عباس حسن: "للخبر من ناحية تأخُّرِه عن المبتدأ وتقدمه ثلاث حالات، أن يتأخر وجوبًا، وأن يتقدم وجوبًا، وأن يجوز تأخره وتقدمه"[(١)].

ولأنّ شرح هذه العبارة يطول مما يخرج عن مقصود مثل هذا البحث؛ لذلك سنكتفي باستعراض ما وجب تقدّمه أو تأخّره من الأخبار، ونتناوله بالتعليق لربطه بالمعنى الدقيق المراد، أما بقية الجمل التي جاز فيها التقدّم والتأخر في الخبر فنجملها بالفوائد الدلالية بإذن الله تعالى.

تقدّمَ الخبر على المبتدأ في سبع جمل من الجمل الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، واحدة منها تقدّم فيها الخبر وجوبًا، في قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[(٢)]، وسبب تقدّمه وجوبًا كونه اسم استفهام له حق الصدارة، وسُبِق بحرف الجرّ اللام، وفي هذا التعبير ما فيه من التعظيم لله تعالى بوصفه وحده مستحقًا للملك خاصة في ذلك اليوم، يوم القيامة، فهو سبحانه ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[(٣)]، فهذا التركيب يعني أن التركيز والأهمية

---

(١) حسن، سابق، ١/ ٤٩٢.

(٢) سورة غافر، ١٦.

(٣) سورة الفاتحة، ٤.

على من له الملك وليس على الملك بالدرجة نفسها، فالأهمّية العظمى في ذلك اليوم هي لله تعالى.

والستّة الباقية تقدّمَ فيها الخبر جوازاً كما سيتبيّن في ثنايا هذا البحث المتواضع، ففي ثلاث جمل منها جاء المبتدأ معرفة، وخبره شبه جملة تقدّمَ عليه، في قوله تعالى: (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)(١)، وقوله تعالى: (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ)(٢)، وقوله تعالى: (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)(٣)، وقد ذكر إياد محمد توفيق فوائد تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ فقال: "وتقديم شبه الجملة على عامله في الإثبات يفضي إلى فوائد وأغراض مختلفة لا تتحصل مع تأخيره، وأهم هذه الفوائد: التخصيص، .. والثاني: العناية والاهتمام.. والثالث: التنبيه من أول الأمر على أن المسند خبر لا نعت.. والرابع: إفادة التشويق... "(٤).

وفائدة تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ في الجمل الثلاثة هي التخصيص(٥)، أي: تخصيص المسند إليه –وهو المبتدأ المؤخر– بالمسند وهو الخبر شبه الجملة، فقد خصص المصير بكونه إلى الله وحده سبحانه في الجملة الأولى، وخصصت اللعنة بالظالمين في الجملة الثانية، وخصّص سوء الدار بالظالمين أيضاً في الجملة الثالثة. وقد يعبّر عن التخصيص بالقصر، أي: قصر المسند إليه (المبتدأ المؤخر) على المسند (الخبر شبه الجملة

---

(١) سورة غافر، ٣.

(٢) سورة غافر، ٥٢.

(٣) سورة غافر، ٥٢.

(٤) زيد، إياد محمد توفيق، تعلق شبه الجملة في ديوان امرئ القيس– دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٦، ١٣١–١٣٤ بتصرف.

(٥) العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢/ ٣٩–٤٠.

المتقدم)[١]، أي أن المصير مقصور في كونه لله سبحانه وحده، وأن اللعنة وسوء الدار مقصورتان على الظالمين.

وأما الجمل الاسمية الثلاث الأخر التي تقدّم فيها الخبر على المبتدأ فقد سُبِقت إحداهما باستفهام، وهي قوله تعالى على لسان أهل النار: (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)[٢]، والجملتان الأخريان سُبِقتا بنفي، بـ(ما) النافية، في قوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)[٣]، وقوله تعالى: (مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ)[٤]، وفي هذه الجمل الثلاث في مواقعها من التهويل وتعظيم شأن اليوم الآخر ما فيها، ففي الأولى بعدما اعترف الكفار أنّ الله تعالى هو أماتهم مرتين وأحياهم مرتين، وأنهم اعترفوا بذنوبهم –بعد فوات الأوان– وعليه؛ فهم يبحثون عن أي سبيل مهما كان –بدلالة (مِنْ) الدالة على العموم– (إلى خروج)؛ أيّ خروج كان – بدلالة كون (خروج) نكرة في سياق الاستفهام[٥]، وهو تعبير عن شدة حسرتهم في ذلك اليوم، وهذا كلامُ من غلب عليه اليأس والقنوط[٦]، وتقدُّم شبه الجملة الخبر: (إلى خروج) نظراً لأهميته الكبيرة لمن يُعَذَب في النار مخلّداً فيها، فهو هدف وغاية للكافرين اليائسين في

---

(١) بسيوني، عبد الفتاح فيود، علم المعاني– دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥، ١٩٤.

(٢) سورة غافر، ١١.

(٣) سورة غافر، ١٨.

(٤) سورة غافر، ٣٣.

(٥) السلمي، عياض بن نامي بن عوض: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ١/ ٣٠٦-٣٠٧.

(٦) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٤/ ١٥٥.

جهنم، فكل الاهتمام منصبّ عليه، لأنّ أي خروج منها يعدّ مكسباً بالنسبة لهم وتخفيفاً عنهم من العذاب.

وفي الجملتين الأخريين المبدوءتين بـ (ما) النافية تقدّم الخبرُ شبه الجملة: (للظالمين) في الأولى، (لكم) في الثانية، على المبتدأ (حميم) في الأولى، (عاصم) في الثانية، وسُبِقَ المبتدأ المؤخر في كل منهما بـ (مِنْ) الدالة على العموم.

يقول السلمي: " وقد تصحبها (مِن) فتقوّي دلالتها، حتى إن بعضهم قال: إنها نص في العموم إذا صحبتها (مِن) "[(١)]؛ إضافة إلى ورود المبتدأين النكرتين في سياق النفي فازداد عموماً إلى عموم، وقد أفادت الجملتان نفي الحميم والشفيع، ونفي العاصم من الله تعالى، وتقدّم الخبر شبه الجملة في كل منهما للتركيز على حال الظالمين والكافرين في يوم القيامة، وبيان أهمّية ذلك الحال وكونه يستحق أنْ يضحّي الإنسان في الدنيا بكل شيء حتى لا يصير إلى ذلك المصير.

وورد في الجمل الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر جمل كثيرة تأخّر فيها الخبر وجوباً في حالات، أولى هذه الحالات قوله تعالى: " وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ "[(٢)]، وسبب تأخر الخبر وجوباً هو حصر المبتدأ فيه.

يقول في النحو الوافي: "أن يكون الخبر محصوراً فيه المبتدأ: بـ: إنّما، أو: إلاّ؛ مثل: إنما البحْتريّ شاعر - إنما المتنبي حكيم - ما النيل إلا حياة مصر - ما الصناعة إلا ثروة. فلا يجوز تقديم الخبر؛ كي لا يزول الحصر، فلا يتحقق المعنى على الوجه المراد"[(٣)]. فأفادت

---

(١) السلمي، سابق، ٣٠٧.

(٢) سورة غافر، ٥٠.

(٣) حسن، سابق، ١/ ٤٩٥-٤٩٦.

الجملة بهذا التركيب المفيد للحصر أن مصير دعاء الكافرين إلى ضلال أي ضياع، وأنه لا مصير له إلا هذا، ومعنى الجملة: "أن دعاءهم لا ينفعهم ولا يُقبل منهم، وسواء كان ... من كلام الملائكة أو من كلام الله تعالى فهو مقتض عموم دعائهم لأن المصدر المضاف من صيغ العموم فيقتضي أن دعاء الكافرين غير متقبل في الآخرة وفي الدنيا لأن عموم الذوات يستلزم عموم الأزمنة والأمكنة"[١].

وثاني هذه الحالات كون الخبر جملة رابطها ضمير يعود على المبتدأ، ووقع هذا في أربع جمل، إحداها اسمية، وهي قوله تعالى: (إنا كل فيها)، فالخبر الجملة هو (كلٌّ فيها) والتنوين في آخر (كلٌّ) عوض عن ضمير المتكلمين، وتقديره: (كلّنا فيها)، وهذا الضمير هو الذي يربط الجملة بالمبتدأ، فلو تقدمت الجملة الاسمية (كلٌّ فيها) على المبتدأ الذي هو الضمير المتصل بـ (إنّ) لحصل لبس في كون الضمير قد صار توكيداً للضمير المعوّض عنه بتنوين العوض المتصل بـ (كلّ): (إنّ كلَّنا فيها نحن).

والثلاث الأخرى جمل فعلية، قوله تعالى: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ)[٢]، وقوله تعالى: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا)[٣]، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)[٤]، ففي الجمل الثلاث يقع لبس في حال تأخير المبتدأ وتقديم الخبر الجملة الفعلية، ففي الأولى يصبح التقدير: أخاف عليكم يوم التناد أنا، فيقع الإشكال في كون (أنا) مبتدأ مؤخراً أم توكيداً للضمير المستتر في (أخاف)، وفي الثانية يصبح التقدير: كنا لكم تبعاً نحن، فيقع الإشكال في كون

---

(١) ابن عاشور، سابق، ٢٤/ ١٦٦.

(٢) سورة غافر، ٣٢.

(٣) سورة غافر، ٤٧.

(٤) سورة غافر، ٤٨.

(نحن) مبتدأ مؤخراً أو توكيداً للضمير المتصل في (كنّا)، وفي الثالثة يصبح التقدير: قد حكم بين العبادِ اللهُ، فيقع الإشكال في كون لفظ الجلالة مبتدأ مؤخراً أو فاعلاً للفعل (حكم)، فيلزم الخبر مكانه محافظًا على ترتيبه الأصلي.

يقول عباس حسن عن هذه الحالة التي يتوجب فيها تأخير الخبر: "أنْ يكونَ الخبر جملة فعلية، فاعلها ضمير مستتر يعود على المبتدأ"[(١)].

وكل ذلك لأجل عدم حصول لبس في إدراك المتلّقي ومعرفته لأركان الجملة ليدرك قصد المتكلم أو الكاتب ويميّز المبتدأ من الخبر أو المسند من المسند إليه.

يقول عباس حسن: " وإنما المعوّل عليه وحده وهو وجود قرينة تدل على أن هذا هو المحكوم عليه، أيْ: أنّه المبتدأ، وذلك هو المحكوم به، أيْ: الخبر، على حسب المعنى؛ بحيث يتميز كلٌّ من الآخر، دون خلط أو اشتباه. فمتى وجدت القرينة التي تمنع الخلط واللبس جاز تقديم أحدهما وتأخير الآخر على حسب الدواعي. وإن لم توجد القرينة وجب تأخير الخبر حتمًا... "[(٢)]،

وثالث هذه الحالات "المبتدأ المفصول من خبره بضمير الفصل"[(٣)]، ووقع هذا في ثلاث جمل من الجمل الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، قوله تعالى: (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[(٤)]، وقوله تعالى: (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)[(٥)]، وقوله تعالى:

---

(١) حسن، سابق ١/ ٤٩٤

(٢) حسن، سابق، ١/ ٦٠٠.

(٣) حسن سابق، ١/ ٤٩٨.

(٤) سورة غافر، ٩.

(٥) سورة غافر، ٣٩.

(وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)[1]، فجاءت الضمائر المنفصلة (هو، هي، هم) على الترتيب تفصل بين المبتدأ والخبر في الجمل الثلاث لتدلّ على قصر المبتدأ على الخبر.

ففي الجملة الأولى قصرت المشار إليه بـ (ذلك) وهو (وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ)[2] قصرته على كونه هو وحده الفوز العظيم.

وفي الجملة الثانية قصرت الآخرة في كونها هي وحدها دار القرار في ذلك اليوم.

وفي الجملة الثالثة قصرت المسرفين في كفرهم وشركهم في كونهم وحدهم أصحاب النار مستحقين للخلد فيها، فدلّ ضمير الفصل في الجمل الثلاث على وجوب تأخر الخبر واحتفاظه بمرتبته بعد المبتدأ.

ورابع هذه الحالات؛ الجمل الاسمية التي دخلت عليها (لا) النافية للجنس، لعدم جواز الفصل بينها وبين اسمها النكرة بشيء، فيمتنع تقدّم خبرها على اسمها.

يقول عباس حسن: "عدم وجود فاصل بينها وبين اسمها. فإن وجد فاصل اهْملَتْ، أي: لم تعمل شيئًا، وتكررت؛ نحو: لا في النبوغِ حَظٌّ لكسلانَ، ولا نصيبٌ. وهذا الشرط يستلزم الترتيب بين معموليها، فلا يجوز أن يتقدم الخبر - ولوكان شبه جملة - على الاسم، فإن تقدّم مثل: لا لهازلِ هيبةٌ ولا توقيرٌ - لم تعمل مطلقًا "[3]، ووقع هذا في ثلاثٍ من الجمل المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، قوله تعالى: (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ)[4]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة غافر، ٤٣.

(٢) سورة غافر، ٩.

(٣) حسن، سابق، ١/ ٦٩٠.

(٤) سورة غافر، ١٧.

(لَا جَرَمَ...)[١]، وقوله تعالى: (لَّا رَيْبَ فِيهَا)[٢]، ففي هذه الجمل الثلاث احتفظ خبر (لا) النافية للجنس بمرتبته بعد المبتدأ (اسم لا النافية للجنس).

وبقية الجمل الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر تأخّر فيها الخبر جوازاً، وهي عشر جمل، يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

أولاهما: التي وقع الخبر فيها صفة، وهي خمس جمل.

وثانيتهما: وقع فيها الخبر شبه جملة، هي خمس أيضاً.

أما المجموعة الأولى فهي: قوله تعالى: (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ)[٣]، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٤]، وقوله تعالى: (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ)[٥]، وقوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ)[٦]، وقوله تعالى: (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)[٧].

وسبب فصل هذه الجمل في مجموعتين أثناء دراسة جملها وجود اختلاف بين النحاة البصريين والنحاة الكوفيين في جواز تقدّم الخبر في حال كونه صفة، فقد أجازه البصريون ومنعه الكوفيون[٨]، بسبب تحمّل الخبر الصفة ضميراً يعود على المبتدأ.

---

(١) سورة غافر، ٤٣.

(٢) سورة غافر، ٥٩.

(٣) سورة غافر، ١٦.

(٤) سورة غافر، ١٧.

(٥) سورة غافر، ٤٧.

(٦) سورة غافر، ٥٩.

(٧) سورة غافر، ٧٧.

(٨) ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، شرح المفصّل للزمخشري، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ١/ ٢٣٥.

يقول أبو البركات الأنباري: "وأجمعوا على أنه إذا كان صفة أنه يتضمن الضميرَ، نحو: زيد قائمٌ، وعمرو حسنٌ، وما أشبه ذلك"[١]، والتقدير: زيدٌ قائمٌ هو، و: عمروٌ حسنٌ هو، وهذا يعني أنّه حين تقدُّمِ الخبرِ الصفةِ فإنّ ضميره سيعود على متأخر لفظاً فلأجل ذلك منعه الكوفيون، والراجح ما اختاره البصريون لأن الضمير وإن عاد على متأخر لفظاً لكنه متقدّم رتبةً، أي حقّه التقديم، وقاسوه على مثل قوله تعالى: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى)[٢]، فقد عاد الضمير المتصل بـ (نفسه) على (موسى) المتأخر لفظاً، لكنّ حقّ رتبته التقدّم لكونه فاعلاً، فحقّه أن يليَ الفعل مباشرة.

فيجوز في غير القرآن الكريم (آتيةٌ الساعةُ)، و (بارزون هم)، و (سريعُ الحسابِ اللهُ)، و (فهل مغنونَ أنتم عنا...)، و (حقٌّ وعدُ الله)، وقد ورد تقديم كلمة (حقّ) -حين وقوعها خبراً- على المبتدأ في قوله تعالى: (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ)[٣]، لكن القرآن الكريم عبّر هنا بالمحافظة على الترتيب الأصلي للجملة الاسمية في هذه الجمل للقيمة المعنوية العالية التي يؤدّيها الخبر في ترتيبه الأصليّ من جهة إتمام فائدة المبتدأ، وصدّرت هذه الجمل بالمبتدأ تهيئة لذهن المتلّقي: سامعاً كان أو قارئاً؛ ليتلّقى الفائدة عن المبتدأ محدِثةً الأثر الكبير في نفسه.

والمجموعة الثانية كذلك خمس جمل: قوله تعالى: (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)[٤]، وقوله

---

(١) الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكفيين، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣هـ، ١/ ٤٨.

(٢) سورة طه، ٦٧.

(٣) سورة يونس، ٥٣.

(٤) سورة غافر، ١٢.

تعالى: (الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ)[١]، وقوله تعالى: (وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ)[٢]، وقوله تعالى: (الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ)[٣]، وقوله تعالى: (ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ)[٤]، وقع فيها خبر المبتدأ كلها شبه جملة: ظرفاً في واحدة (لدى الحناجر)، وجارّاً ومجروراً في الأربع الباقية، وجاء الخبر شبه الجملة على ترتيبه الأصليّ بعد المبتدأ، مع عدم وجود مانع من تقدّمه في مثله في غير القرآن الكريم، ومجيئه على ترتيبه الأصليّ يحمل قيمة معنوية عالية من جهة أنه يُتمّ الفائدة المنتظرة من المبتدأ بعدما يتهيّأ ذهن السامع لتلّقي الفائدة عن المبتدأ، ففي اكتمال الخبر (لدى الحناجر) اكتمال للصورة المقصود إيصالها من حال القلوب يوم القيامة، إذ تكون عند الحناجر من شدة الخوف وعظمة الهول في ذلك اليوم، وفي اكتمال الخبر (في أعناقهم) اكتمال للصورة المقصود إيصالها عن الكافرين يوم القيامة والقيود في أعناقهم ويسحبون بالسلاسل، وهكذا... كما قال السكاكي عن تقديم المبتدأ: "وأما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره أهم"[٥]، يقصد تقديم المبتدأ على الخبر.

---

(١) سورة غافر، ١٨.

(٢) سورة غافر، ٤٣.

(٣) سورة غافر، ٧١.

(٤) سورة غافر، ٧٥.

(٥) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ١/ ١٨٤.

خاتمة البحث

كانت جولة عميقة في ثنايا سورة غافر جملِها الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر وتفصيلاته، كشفت عن كُنه تلك الجمل من جهتين:

جهة نوع الخبر فيها وأثره في المعنى.

وجهة ترتيب أركان الجملة الاسمية وأثر ذلك في المعنى، وكانت أهم النتائج:

١ – كثرة ذكر اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، حيث بلغ ست عشرة مرة موزّعة على السورة بحسب موضوعاتها.

٢ – كثرة الجمل الاسمية المعبّر بها عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر، وما له من دلالة على الثبات المناسب لذلك اليوم والخلود فيه.

٣ – تنوّعت الأخبار في الجمل الاسمية المقصودة، فشملت الأنواع الأربعة للخبر مع مراعاة مناسبتها للمعنى المعبّر عنه.

٤ – تنوّع ترتيب أركان الجملة الاسمية المقصودة بما يتناسب مع أداء المعنى المعبّر عنه.

والفضل كل الفضل لله سبحانه مولانا الموفّق لكل عمل صالح، الذي يقبل العمل الصالح ويثيب عليه، فهو أهل للحمد وحده ومستحقه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١) ابن آجروم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الآجرومية، دار الصميعي، ١٩٩٨م.

٢) الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣) الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣هـ.

٤) بسيوني، عبد الفتاح فيود، علم المعاني- دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥.

٥) البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن- تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦) الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح ألفية ابن مالك، المكتبة الشاملة.

٧) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط١٥.

٨) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤م.

٩) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٠) زيد، إياد محمد توفيق، تعلق شبه الجملة في ديوان امرئ القيس- دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٦.

١١) السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١،

٢٠٠٠م.

١٢) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

١٣) السلمي، عياض بن نامي بن عوض: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٦) العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٧) قباوة، فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط١، ٢٠٠٢.

١٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٩) المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٠) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥.

٢١) ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، شرح المفصّل للزمخشري، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

فهرس المحتويات

التعبير بالجملة الاسمية عن اليوم الآخر وتفصيلاته في سورة غافر وعلاقتها بالمعنى ١٥٠

ملخص البحث باللغة العربية: ١٥٢

ملخص البحث باللغة الإنجليزية: ١٥٣

المقدمة ١٥٤

الدراسات السابقة: ١٥٥

تمهيد في: مقاصد وأهداف سورة غافر، وارتباط الموضوع بالسورة ١٥٧

مقاصد وأهداف سورة غافر: ١٥٩

المبحث الأول: تعريف موجز بالجملة العربية، أنواعها، وأركانها، وأسرار التعبير بالجملة الاسمية .. ١٦٣

أسرار التعبير بالجملة الاسمية: ١٦٥

المبحث الثاني: نوع الخبر في الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر في سورة غافر ١٦٨

المبحث الثالث: ترتيب أركان الجملة الاسمية المعبّرة عن اليوم الآخر في سورة غافر ١٧٨

خاتمة البحث ١٨٨

مراجع البحث ١٨٩

فهرس المحتويات ١٩٢